

قال الحافظ: (غراب البين نوعان: أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم، والآخر كل غراب يتشاؤم منه، وإنّما لزمه هذا الاسم، لأن الغراب إذا بان أهل الدار وقع في مواقع بيوتهم ليلتمس ما تركوا، فتشاءموا به، ونطبروا منه، إذ كان لا يرى في منازلهم إلا إذا بابوا، فسموه (غراب البين) إلى أن قال: (وليس في الأرض بارح ولا قعيد، ولا شيء مما يتشاؤم منه، إلا والغراب عندهم أشأم منه).

هذا ما قاله أبو عمرو الجاحظ، وله فصل طويل في الغربان نجده في كتاب الحيوان، ومما يليق بهذا المقام فصل للبديع الهمذاني المترسل المشهور من كتاب وهو: (ما أعرف لفلان مثلاً إلا الغراب، لا يقع إلا مذموماً على أي جنب وقع أن طار فمقسم الضمير، وأن وقع فمروع بالندير، وأن جل فمشية الأمير، وأن صاح فصوت الحمير، وأن أكل فدبرة البعير). وقد أكثر الأدباء والشعراء من ذكر غراب البين، وأصناف الغربان كافة، ومن أمثالهم: (زهو الغراب) يضرب به المثل لأنه إذا مشى اختال، ونظر في عطفه، قال حسان:

في فحش موسمة وزهو غراب

و(غراب نوح) يضرب للمتهم، وللمبطل.

والعرب تسمى الغراب: (ابن داية) لأنه إذا وجد دبيرة في ظهر البعير أو قرحة في عنقه، سقط عليها ونقره وعقره حتى يبلغ الدايات.

وفي كتاب (حياة الحيوان) للدميري: غراب البين هو الغراب الأبقع، قال الجوهري (هو الذي فيه سواد وبياض) هذا والغراب أنواع، فمنه الغراب الأسحم، والغراب الأعصم، وهو قليل الوجود، والغراب الأبقع وزاغ والغداف، والعققع.

وقال صاحب كتاب (المجالسة): سمى غراب البين لأنه بان عن نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.